

وقفات من مخطوطة الرماصي على شرح التتائي

ط. مولاي عائشة أ.و. أحسن زقور

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

ملخص الموضوع

يتناول هذا الموضوع وقفات من منهجية الرماصي على شرح التتائي لمختصر خليل. تلك المنهجية التي اتسمت بالتدقيق والتحقيق والتصويب والنظر في أغلب الأحيان، كما أنها اتسمت بنقل أغلب الاختلافات الفقهية الواردة في المذهب، مع نقل دقيق ومحقق، وهو ما أعطى للمخطوط مكانة علمية متفردة مقارنة بغيرها من الشروح والخواشي.

ومن خلال هذا البحث سنحاول — بإذن الله تعالى — أن نسلط الضوء على تلك المنهجية مع التمثيل لها

Abstract

Highlights on the Tatai's explanation of Ramasi's manuscript

This theme deals with some points about the methods applied in Rammassi's commentary on Tatai's explanation of Khalil's book "Mukhtaser"

That method is characterized by scrutiny, incontestability and emendation. It is also characterized by incontestable, accurate transforming of the fiquhi dissimilarities in the

doctrine. The feature that gives the manuscript a unique standing comparing with the other commentaries.

Through this study, I will try to spotlight on the method and set examples God will.

المقدمة:

تمثل المخطوطات الكم الهائل من التراث الإنساني والظاهرة التراكمية البارزة للعلم وصيانة حلقاته كما يعتبر التحقيق الوسيلة الأهم للحفاظ على ذلك التراث.

والفقه الإسلامي من أهم العلوم التي ازدهرت وتوسعت بفضل التحقيق والعناية بميراث السلف لما فيه من نقل للحوادث والنوازل وتداول للآراء بين طبقات الفقهاء من زمن لزمان، وما هذا إلا حلقة في سلسلة الاجتهاد والإثراء والتصويب لميراث فكري وديني له خصوصيته النابعة من خصوصية رسالة الإسلام العظيمة التي تتميز بالشمولية والعالمية والديمومة محفوظة بحفظه تعالى للكتابة أوليس هو القائل "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" الآية 9 سورة الحجر.

والتراث الفقهي الجزائري يزخر بخزانة من المخطوطات منها ما حقق، ومنها ما لم يحقق بعد، ومن تلك النماذج حاشية الرماصي على شرح الشنائي لمختصر خليل حيث تتبع الرماصي الشرح بالنظر والتعقيب والتصويب والمناقشة فمن هو الرماصي؟ وما مكانته العلمية؟ وما منهجيته على شرح الشنائي؟

أولاً: ترجمة صاحب المخطوط

1- اسمه الكامل ونسبه: هو مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي ويدعى عند بعضهم بن عبد الله بدل من مصطفى¹. كما يلقب بالقلعي نسبة إلى قلعة هوارنة شمال مدينة معسكر²

كما لقب بالراشدي نسبة إلى قلعة بني راشد³

2- مولده: ولد الرماصي بقرية رماصة بمدينة مستغانم التي يكنى بها غير أنه لم يحدد تاريخ ميلاده بالضبط قال صاحب كتاب تعريف الخلف بالسلف: "لم نقف أيضاً على تعيين مولده ووفاته غير أنه كان في حدود أوائل القرن الثاني عشر هجري".⁴

وذكر صاحب معجم أعلام الجزائر⁵ أن تاريخ وفاته كان سنة 1136 هـ — 1724 م كما ذكر صاحب شجرة النور الزكية أنه توفي عن نيف و تسعين سنة.⁶ وبهذا يكون تاريخ ميلاد الرماصي في حدود 1043 هـ — 1634 م

ثانياً: مكانته العلمية

1- مسيرته العلمية:

مرت المسيرة العلمية للرماصي بعدة محطات شأنه شأن أقرانه من العلماء والفقهاء فابتدأت بقريته رماصة حيث حفظ القرآن وهو صغير على عادة الناس في ذاك الزمن.

تلقى علومه الأولى على يد والده الذي يعتبر من أبرز فقهاء عهده وكانت فتاويه تعتمد من أصحاب النوازل الفقهية وكان من أهم شيوخه في هذه المرحلة عمر التراوي المشرفي ومحمد بن علي الخروبي القلعي⁷.

ثم انتقل إلى مازونة ليكمل مسيرته التعليمية حيث كانت مازونة آنذاك حاضرة علمية لها إشعاعها الفكري والديني.

يقول سعد الدين أبو القاسم صاحب كتاب تاريخ الجزائر: "أما مدرسة مازونة فقد كانت على درجة كبيرة من الأهمية في النواحي الغربية من البلاد، وكان لها نظام راسخ وتقاليد متينة استمدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى وهي أيضا من أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني وقد اشتهرت بالخصوص بالفقه والحديث وعلم الكلام"⁸.

ودرس بمازونة على يد كبار علمائها يقول الحفناوي: "...ورحل قبل إلى بلد مازونة وأخذ عن أكابر أهلها من أسلاف السادات الراسين وموقع درسه من مسجدهم إلى الآن مشار إليه ومتبرك به ويتنافس الطلبة على الجلوس فيه"⁹.

من أهم شيوخه في هذه المرحلة محمد بن شارف المازوني وهو مؤسس المعهد الفقهي بمازونة وهو الذي روى عنه صحيح البخاري، وعبد الرحمن بن زيد التويجيني، والأستاذ محمد الصحراوي دفين قلعة مأمون الذي لا يزال ضريحه بمقبرة سفح الجبل حزول شمال الطريق الرابط بين مدينتي تيارت و الرحوية ولم نطلع على ترجمة للشيخ¹⁰.

ثم انتقل إلى مدينة فاس وهي حاضرة من حواضر الفقه المالكي و بعدها إلى مصر و درس على أكابر أستاذة الأزهر منهم ¹¹ الخرشي محمد بن عبد الله المتوفى 1101هـ ¹² و عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني فقيه مالكي، ولد بمصر 1020 - 1099هـ ومات في 1611 هـ - 1688 م ، من كتبه شرح مختصر سيدي خليل ¹³.

2- آثاره العلمية:

من أهم آثار العلمية كتاب "كفاية المريد على شرح عقيدة التوحيد" فرغ منه سنة 1124هـ وهو عبارة عن حاشية على عقيدة الإمام محمد بن يوسف السنوسي وتعرف "بالصغرى"، وأثره الثاني وهو حاشيته على شرح شمس الدين على مختصر خليل ¹⁴ وهو المخطوط الذي نحن بصدد دراسة وتحقيقه بإذن الله تعالى وسنرى المنهجية التي اتبعها الرماصي في هذا المخطوط لاحقا.

ويذكر رحمه الله سبب تأليفه لحاشيته في بداية المخطوط فيقول: "لما كان علم الفقه أفضل العلوم بعد كتاب الله تعالى وسنة رسول الله، إذ به تعلم الأحكام ويتميز الحلال والحرام، وقد صنف فيه الأئمة الأعلام دواوين لا تحصى وأحسن ما صنف في ذلك مختصر خليل إذا أقبلت عليه الطلبة غربا وشرقا وله شروح كثيرة، وأحسنها شرح العلامة شمس الدين التتائي رحمه الله بم اشتمل عليه من الاختصار وحسن العبارة، و جمعه للفوائد لأنه رجل أديب لكنه كما قيل مات قبل أن يصلحه فلذا وجد فيه التصحيف في مواضع وزاده الطلبة بإقبالهم عليه تغيرا، رغب مني بعض

الإخوان أن أضع عليه حاشية تبين مشكلة، وتحل مقفله فأجبت له لذلك بعد الاستخارة¹⁵

3- مكانته العلمية:

تبوأ الرماصي-وكذا مخطوطه هذا- مكانه علمية متميزة لما اشتهر به من التحقيق والتدقيق والمناقشة ولعل هذه سمة علماء الجزائر وقد شهد له بهذه المكانة كثير من العلماء والمشايخ .

فقد قال عنه عبد الرحمن الجامعي الفاسي بأنه "حامل راية الفقه المالكي في عصره ومصره"¹⁶

وذكر الحفناوي في كتابه أن شيخ الرماصي قد وصفه فقال "أنت المذهب"¹⁷

وقد اعتمد على حاشيته كثير من المتأخرين في النقل عنه، وتدعيم حججهم بأقواله مثل ما فعل الشيخ الدرير في شرحه على مختصر خليل لما تميز به الرماصي من مناقشة للآراء الفقهية كآراء بعض الفقهاء المصريين منهم الشيخ عبد الباقي الزرقاني والشيخ الخرشي. هذا ما يثبت ما نقله البوعبدلي عن الرماصي حين قال "و أراك أيها السائل تحتفل بكلام عبد الباقي وذلك بمعزل عن التحقيق ، لأنّ شرحه وشرح الخرشي لا نكثرت بهما في بلادنا الراشدية لعدم تحقيقهما، وعمدتهما كلام الأجهوري وهو كثير الخطأ "¹⁸.

ثالثا: منهجية الرماصي في مخطوطه على شرح التتائي:

اعتمد الرماصي في حاشية على التتائي كما قال على التصويب والتصحيح وإمعان النظر سنحاول استعراض بعض منها مع التمثيل:

1- لا يعقب على شرح ألفاظ المختصر كلها واحدة بواحدة كما فعل التتائي بل يكتفي على مجموعة الألفاظ التي تحتاج إلى وقوف ونظر أو تصويب أو تدقيق مثل ما فعل في باب الحوالة: حيث اكتفى بشرح إحدى عشر لفظ من الباب وهي [شرط الحوالة لازم، فإن أعمله بعدمه وصيغتها، وحلول المحال به، وإن كتابه، لا عليه، وصفه، تردد، أن يكونا طعامين من بيع، لا كشفه عن ذمة المحال عليه، إلا بظلم بإفلاسه، لا في دعواه أو سلفاً]¹⁹

وشرح في باب المزارعة بعض الألفاظ [إن لم ييدر، وصحت إن سلما، قابلهما مساو، إلا لتبرع، وخلط كالغاء أرض]²⁰

2- يذكر أقوال أكثر من فقيه في المسألة الواحدة بطريقة مقارنة وهذا منهجه السائد في سائر المخطوط ونذكر لتمثيل لا الحصر:

(ما قاله معقبا على التتائي في شرح لفظ "وجاز صلحه عنه بما جاز للغريم" حيث قال التتائي أنه لما ذكر الأولى منها...) ففي هذه المسألة ذكر الرماصي قول ابن عرفة "وفي منعه بمثلي.... إلخ" ونقل قول المدونة و قول ابن عبد السلام: "أما المصالحة عن العين بمقوم...."، و زاد و ذكر ما حكاها المازري "وحكي المازري عليه الاتفاق". وذكر سماع يحيى عن ابن القاسم فقال "مخالف له سماع يحيى عن ابن القاسم". ونقل ابن رشد "وأما المصالحة...."²¹

3- الدقة في نسب الأقوال والتثيت منها وهذا أيضا منهجه في كل مخطوطه فهو من صنف محققي المذهب ويعبر عن ذلك التثيت بلفظ والنص مثل: ونصها في التطين "ومن اكرى دارا على أن عليه تطين البيوت جاز ذلك إذا سمى تطينها في السنة مرة...." ²²

أو يستعمل لفظ وفي النقل خلل والنص كذا مثل: وفي النقل خلل ونص المدونة: "المستحقها بالملك أخذها إن شاء مع قيمة ولدها" ²³

4- لا يكتفى بالتعقيب على التثائي فقط بل يعقب على خليل ابتداء أو انتهاء مثل: تعقبه على قول خليل (إلا كري الحج). قال لا خصوصية للحج فالمسألة مفروضة في الكراء المضمون المؤجل الشروع فيه. ²⁴

ومثله أيضا : التعقيب على قول خليل " إن غيب " علق الرماصي قائلا " لا تدخل هنا المحبوسة للثمن أصلا. ²⁵

كما عقب على قوله : " كالغاصب " وناقشه بقول المدونة : " فإن لم تأت البينة بما تعذر به من شبهة دخلت عليهم كتعمدهم للزور فليأخذ متاعه حيث وجوه وإن شاء الثمن الذي يبيع به و ترد إليه زوجته وله أخذ ما عتق من عبد أو كوتب أو دبر أو صغير بكر أو أمة اتخذت أم ولد فليأخذها وقيمة ولدها من المتاع يوم الحكم كالمنصوبة يجدها بيد المشتري ثم قال و به يظهر لك أن قول المؤلف " وإلا فكالغاصب " فيه نظر. ²⁶

وعلق على قوله " شهرا " وقال وصوابه " أشهر " بالجمع. ²⁷

5- يعقب على آراء الفقهاء الذين ينقل أقوالهم ويناقشها ويصوبها ويقارنها بغيرها، وهذه من الميزات التي تميز بها وأعطت مخطوطه تلك المكانة المتفردة: مثل: تعقيبه على قول الأجهوري والزرقاني حين ذكر شرح قول خليل: "كان يطحن لك كل يوم" فعقب بعدما ذكر شرح التتائي القائل "وسكت عما يلزمه إذا لم فسخ" كما ذكر قول الأجهوري "فيه نظر لأن هذا مع الفسخ أما على النفي فعليه جميع الكراء" ونحوه للزرقاني ثم قال وفيه نظر.²⁸

وأيضا تعقيبه على الأجهوري الذي شرح قول خليل: "ولا يطالب إن حضر الغريم موسرا" قال الرماصي معقبا على قول الأجهوري "ولو كان كثير المطل والرد وليس كذلك لأن التقييد بما لم يكن ملوا ذكره ابن الحاجب بقليل التي للتمريض".²⁹

ومثل مناقشته للفقهاء أيضا تعقيبه على شرحهم قول خليل "ورجح بالأقل منه قيمة" حيث ناقش شرح التتائي والبساطي وذكر قول صاحب الجواهر لاحتجاجهم به ثم علق قائلا "والعجب أيضا من تركهم نص الأئمة الصريح في المراد لاسيما نص المدونة وارتكابهم المتعسف من الاحتمالات".³⁰

6- يستعمل ألفاظا توحى بالتعيب على التتائي مثل: انظر تسليمه، خبط، الصواب كذا، فيه نظر، في العزو نظر، فافهم، سبق قلم.

مثل: ما أعابه على التتائي من عدم التعليق على شرحه لقول خليل: "نكل ما على الملقى" حيث قال التتائي: "بفتح القاف اسم مفعول" فقال الرماصي: "انظر تسليمه لهذا الإعراب مع أنه غير صواب لأنه يصير اسم مفعول من ألقى وليس معنى لقي الثلاثي الذي فيه كلامنا فكان عليه الاختصار على ما قاله ابن غازي".³¹

وأیضا مثل: ما قاله في التعقيب على قول التتائي في شرحه لقول خليل " يؤاخذ المكلف " حيث قال التتائي: " البالغ الرشيد " علق الرماصي بقوله : الصواب حذف قوله الرشيد إذ هو قوله بلا حجر لأنه به يخرج السفیه.³²

ومثل ذلك أيضا استعماله لفظ خبط في تعقبه على قول التتائي " انظر ما قيل على كل من التقريرين " في الكبير إذا أنت تأملت التقريرين وجدتهما يرجعان إلى وفاق وما قاله في كبيره على كل منهما خبط أعرضنا عنه ولا حاجة لنا في التشاغل به.³³

وكذلك مثل : وزاده في كبيره و به أخذ ابن القاسم ، وفي العزو نظر تبع فيه قول الشارح.³⁴

ومثله: وفي نقله خلل ونص المدونة وينقل النص.³⁵

ومثله : ما قاله في شرح "إن كان مما يعجل " قال التتائي : " إما إن كان النقد " فقال الرماصي وفي ذكر النقد نظر ولعله سبق قلم.³⁶

7- لا يهتم الرماصي بالأدلة إلا نادرا - أو ما ورد في أقوال الفقهاء الذين يذكروهم - وإنما يهتم بأقوال الفقهاء والتعقيب على ما قاله التتائي وهي غالبا خالية من التدليل :

مثل : ما نقله من قوله صلى الله عليه وسلم : " مطل الغني ظلم وإذا تبع أحدكم على ملئ فليتبع " وهذا ما ذكره عندما نقل قول عياض في الحوالة.³⁷

و مثل : ما ذكر من قوله تعالى : " وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى " (النجم الآية 39)

ذكرها وهو ينقل فتاوى ابن رشد و أقواله في مسألة الإستئجار في أداء الفرائض.³⁸

8- يستعمل ألفاظا يمدح ويستحسن فيها أقوال التتائي :

مثل ما ذكره للتعقيب على شرح الأجهوري والزرقاني في شرحهما لقول خليل " في كل يوم مع كونه لا يطحن فيها " نظر وذكر أن الصواب ما قاله التتائي فقال " والصواب ما قاله التتائي.³⁹

9- لا يذكر الاختلافات الفقهية في غير المذهب إلا نادرا لأنه من محققي المذهب المالكي:

مثل: ما ذكره من قول أبي حنيفة وهذا عند نقله لقول ابن رشد في مسألة الصلاة على الميت قبل قضاء دينه.⁴⁰

مثل : نقله عن القرافي عندما ذكر أقوال الفقهاء من المذاهب الأخرى حيث ذكر قول الشافعي وأبي حنيفة وأحمد في مسألة ثواب قراءة القرآن الكريم.⁴¹

10- لا يكتفي الرماصي بالتعقيب على أقوال التتائي في الجواهر بل يعقب على أقواله في الكبير أيضا مثل : وقال التتائي في كبيره.⁴²

وقوله : زاد في كبيره⁴³

وجعل التتائي في كبيره⁴⁴

الخاتمة :

و في الأخير ومن خلال هذه الوقفات تجلت لنا معالم الشخصية العلمية الفذة للفقيه للرماسي والتي تميزت بالتدقيق والتحقيق والتمحيص ، وحجم الإضافات العلمية التي أثرى بها مخطوطه الفقه المالكي ومن خلاله الفقه الإسلامي بصفة خاصة والفكر الإنساني بصفة عامة ، فحق لهذا المخطوط أن يكون موسوعة فقهية في المذهب بامتياز .

الهوامش :

- 1 تعريف الخلف لرجال السلف أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ 1324 هـ - 1906 م مطبعة بير قتنانة الشرقية الجزائر ج 2 ص 567
- 2 الفقيه الحافظ مصطفى الرمائي من مجموعة الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي جمع و اعداد عبد الرحمن دويب ط2013، 1 دار عالم المعرفة للنشر، ج1 ص 171
- 3 المرجع نفسه
- 4 الحفناوي المصدر السابق ج 2 ص 567
- 5 معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل النويهض ط 2، 1400 هـ - 1980 م ، مؤسسة النويهض الثقافية للتوزيع و النشر بيروت لبنان ص 152
- 6 شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم بن مخلوف ط1، 2003م 1424 هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ج2 ص 482.
- 7 المهدي البوعبدلي المرجع السابق ج1 ص 169
- 8 تاريخ الجزائر أبو القاسم سعد الدين ط 1 1998 دار الغرب ج1 ص 18
- 9 الحفناوي المصدر السابق ص 567
- 10 المهدي البوعبدلي المرجع السابق ص 172

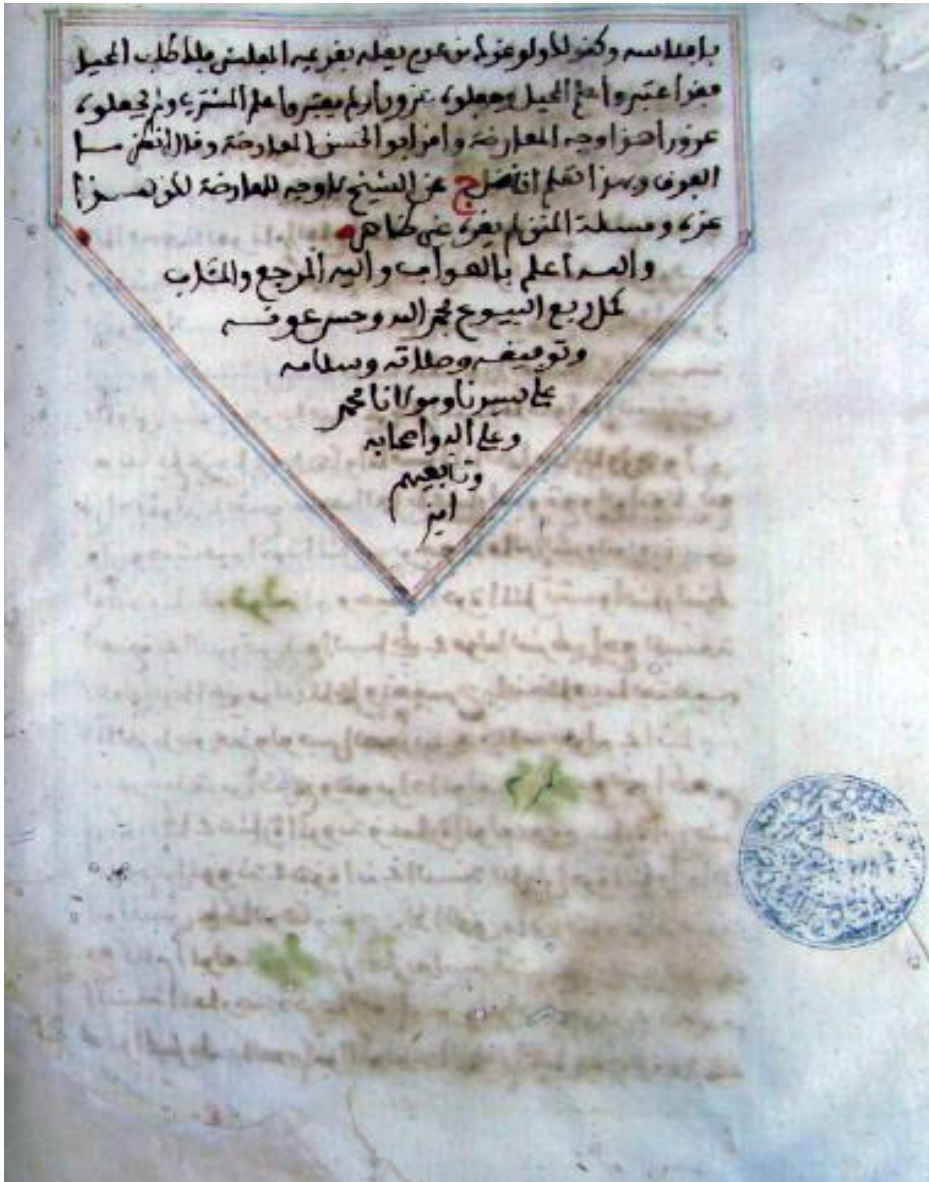
- 11 محمد بن مخلوف المرجع السابق ج1 ص 482
- 12 خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي ، الأعلام ، ط2 ، 2005 ، دار العلم للملايين ، ج3 ص 303
- 13 الزركلي نفس المرجع ص 272
- 14 المهدي البوعبدلي المرجع السابق ج1 ص 182
- 15 حاشية الرماسي على جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر للتتائي لوحة 2 وجه أ
- 16 عادل النويهض المرجع السابق ص 152
- 17 الحفناوي المرجع السابق ص 257.
- 18 المهدي البوعبدلي المرجع السابق ص 167
- 19 الرماصي المصدر السابق لوحة 111/108
- 20 الرماصي المصدر السابق لوحة 130/128
- 21 الرماصي المصدر السابق لوحة 113 وجه أ
- 22 الرماصي المصدر السابق لوحة 22 وجه أ ج 4
- 23 الرماصي المصدر السابق لوحة 169 وجه أ
- 24 الرماصي المصدر السابق لوحة 5 وجه ب
- 25 الرماصي المصدر السابق لوحة 56 وجه ب
- 26 الرماصي المصدر السابق لوحة 170 وجه ب
- 27 الرماصي المصدر السابق لوحة 14 وجه ب ج4
- 28 الرماصي المصدر السابق لوحة 14 وجه ب ج4
- 29 الرماصي المصدر السابق لوحة 114 وجه ب
- 30 الرماصي المصدر السابق لوحة 112 وجه أ
- 31 الرماصي المصدر السابق لوحة 115 وجه ب
- 32 الرماصي المصدر السابق لوحة 134 وجه ب
- 33 الرماصي المصدر السابق لوحة 169 وجه أ

- 34 الرماصي المصدر نفسه
- 35 الرماصي المصدر السابق لوحة 169 وجه أ
- 36 الرماصي المصدر السابق لوحة 112 وجه أ
- 37 الرماصي المصدر السابق لوحة 110 وجه أ
- 38 الرماصي المصدر السابق لوحة 5 وجه أ ج 4
- 39 الرماصي المصدر السابق لوحة 14 وجه ب ج 4
- 40 الرماصي المصدر السابق لوحة 112 وجه أ
- 41 الرماصي المصدر السابق لوحة 6 وجه أ
- 42 الرماصي المصدر السابق لوحة 118 وجه أ
- 43 الرماصي المصدر السابق لوحة 112 وجه أ
- 44 الرماصي المصدر السابق لوحة 116 وجه ب

اللوحة الأولى من المخطوط



اللوحة الأخيرة من جزء المعاملات



المجتمع اليهودي في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني

ط. عبد الصمد حمزة، / أ. م. محمد بوركية

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

ملخص الموضوع:

عرفت الدولة الزيانية خلال فترة سيادتها على المغرب الأوسط تواجدا هاما لأهل الذمة من مسيحيين ويهود، حيث انحصر التواجد المسيحي في فئتين: أولاهما هي فئة التجار المقيمين في أحياء خاصة تصعب من مهمة التعرف عليهم عن كتب واستقراء تركيبتهم الاجتماعية، حيث لا تورّد معظم المصادر والوثائق المتوفرة إلا طرفا يسيرا من تعاملاتهم الاقتصادية وعلاقاتهم التجارية مع السلطة الزيانية، بينما تغض الطرف عن حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية. والفئة الثانية هي شريحة الخدم في القصور أو الأسرى القابعين في سجون الدولة والذين تقع على عاتقهم الأعمال الكبرى. بينما تواجد اليهود في المدن والأرياف وساهموا في المجال التجاري واندمجوا في المجتمع الزياني لذا سنتطرق في هذا الموضوع إلى تنظيم وتركيب المجتمع اليهودي في عهد الدولة الزيانية وعاداته وتقاليده، وأماكن سكناه. هذا المجتمع الذي عرف تنوعا وتطورا طيلة العهود التي سبقت سيطرة بني عبد الواد على المغرب الأوسط، وذلك بفضل التسامح الذي طبع تعامل الدول الإسلامية المتعاقبة مع أهل الذمة، كما شهد الوضع الاجتماعي لليهود انفراجا خاصة بعد القبضة الحديدية التي انتهجها

أوائل الخلفاء الموحدين إزائهم، ومع تأسيس الدولة الزيانية، وتراجع الحكم الإسلامي للأندلس أمام المد المسيحي، بدأت حملات الهجرة الأندلسية ومن بينهم المهاجرين والمهجرين اليهود الذين وجدوا مكانا لهم بين عناصر المجتمع الزياني، وسكنوا عدة مدن في المغرب الأوسط، فاشتهرت منهم عائلات كثيرة، واستطاعوا التفوق على أبناء جلدتهم من اليهود الأهالي، حتى غدا منهم رؤساء الطائفة اليهودية، ونقل هؤلاء معهم عاداتهم وتقاليدهم مع المحافظة على العادات التي ورثوها عن أجدادهم أو التي تنص عليها ديانتهم، واستمروا على ذلك حتى سقوط الدولة الزيانية وبداية الحكم العثماني للجزائر، كما سنورد ما توفر من معلومات -على قلتها- عن تواجد العنصر المسيحي خلال هذه الحقبة.

الكلمات المفتاحية: الدولة الزيانية-اليهود-المسيحيون-تركيبة المجتمع

Abstract

The zianide state was knew in all her occupation of the central Maghreb, a strong existing of Dhemmis, Christians and Jews, the presence of christians is limited in two categories, the first are the traders who live in particularly cities, it is very difficult to identify, because the majority of documents had gave a few informations about their economic and trade relations with the Zianide power; thus this documents was forged the life and social relations of these categories. The second category is the workers in palaces and the prisoners who works in strong jobs.

Unlike the coexistence of the Jews in the cities and countrysides, they was participated in the trade domain, and was integrated in the zianide society. For this we get to study the organisation of the Jews society in the zianide period, their ways, traditions, and there habitations. This society was knew a variety and development during

all the periods that preceded the Beni Abdelwad domination of the central Maghreb, because of tolerance that characterized the deal Muslim authority with the Dhemmis. Also the social status of the Jews was witnessed a divergence especially after the iron fist of the Almohade State-in the first-. With the establishment of the Zianid State, and the retraction of Andalusian Islamic domination in front of the Christian crawling, the Jewish immigration campaigns was started, and the Jews was found their places between the different categories of the zianide society, and they was habited in different town in the central Maghreb, between them there are many famous families, who overpower against their brothers, and between them there was the presidents of the Jewish group, the Jews of Andalusia was moved their traditions and ways, with the preservation of the traditions was inherited to their ascendants, or what the jewish religion is said, this status is persisting a long of the zianide period into the Othmane domination of Algeria. As we will cite the existence of some Christians.

Keywords: Zianide state-Jews-Christians-Community composition

1. تركيب المجتمع اليهودي

وجد اليهود في بلدان المغرب الإسلامي ملاذا لهم من سطوة وبطش المسيحيين إثر قرارات الطرد المتلاحقة لهم من إسبانيا والدول المسيحية ابتداء من القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي، فاستقروا بها فأثروا بذلك على تركيبها الاجتماعية، إذ انقسم المجتمع اليهودي بعد هذه الهجرات إلى قسمين رئيسيين هما:

أ. اليهود الأهالي: وهم اليهود الأقدمون في البلاد أو لابسي العمامات *baalé hamichnefeth* ⁽¹⁾، وأطلقوا على أنفسهم اسم "التوشايم *Tochabim*" أي اليهود الأهالي ⁽²⁾ الذين مثلوا الأساس الاجتماعي لليهود في بلاد المغرب منذ أقدم العصور،

ورسخت جذورهم في البلاد بسبب التسامح الكبير للمسلمين معهم مقارنة بمعاملة مسيحيي أوروبا لهم أو البيزنطيين من قبل، باستثناء الموحدين الذين قوضوا عدة تجمعات يهودية في القرن السادس هجري، الثاني عشر ميلادي⁽³⁾.

ب. يهود الأندلس: وهم اليهود المطرودون من الدول المسيحية بعد تراجع حكم المسلمين في إسبانيا وصدور قرارات الطرد الجماعية من طرف الملوك الكاثوليك⁽⁴⁾، فاستقروا بمختلف المدن الزبانية بعد الضغط الذي تعرضوا له من قبل القشتاليين والقطلونيين سنة 794هـ/1391م وتضاعف عددهم خلال سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م،⁽⁵⁾ فكان من بينهم رجال علم وأطباء ورجال ذوي سلطة ونفوذ ترجع أصولهم إلى الجزيرة الإيبيرية فأصبحت بلاد المغرب بالنسبة لهم أرض لجوء⁽⁶⁾. ويسمون "حاملي القبعات *baalé el kipron*"⁽⁷⁾ أو الميغوراشيم *Megorachim* وتعني بالعبرية المطرودين⁽⁸⁾.

والجدير بالذكر أن مملكة عبد الوادي هي التي استقبلت أكبر عدد من هؤلاء المهاجرين اليهود سواء كان ذلك من حيث النوعية أو الكمية بفضل التسامح الكبير الذي أبداه ملوكها تجاههم⁽⁹⁾، فكان يظهر لهم بأن قدوم هؤلاء بأعداد كبيرة لن يؤثر على المخزن العبد الوادي وسيعود عليهم بفوائد اقتصادية جمّة⁽¹⁰⁾، ونفس الأمر بالنسبة للمجتمع المسلم الذي لم يسجل منه أي احتجاج ضد هجرة اليهود إلى بلادهم رغم استمرار هجرتهم إلى بلاد المغرب على مدى قرون من الزمن⁽¹¹⁾.

غير أن الظاهر أن علاقة المهاجرين الجدد بالجالية القديمة كانت غير منسجمة بسبب الاختلاف في اللغة والمذهب والعادات والمفاهيم الاجتماعية والمنافسة

الاقتصادية، وخاصة منها الهجرة الكبيرة التي كانت سنة 803هـ/1400م التي أحدثت أزمة بين الجدد والقدماء فتدخل الحبر "إفرايم انكاوة *Ephraïm Ankaoua*" في مدينة تلمسان بين المتنازعين وقرب بينهما وكذلك تدخل كل من إسحاق بن شيشيت برفات *Issac b. Sheshet Barfat* وشمعون بن سماح دوران *Simon b. Semah Duran* في مدينة الجزائر⁽¹²⁾ (هذين الأخيرين كلفا تواليا من طرف السلطان الزياني برئاسة الطائفة اليهودية⁽¹³⁾).

وباستثناء تونس أين احتفظ اليهود الأوائل باستقلاليتهم، استطاع القادمون الجدد السيطرة على إخوانهم في الدين في باقي مناطق المغرب⁽¹⁴⁾.

2. توزيع اليهود حسب المناطق:

تتحدث المصادر عن خروج أكثر من 200 ألف يهودي -على الأقل- من إسبانيا في مرة واحدة سنة 1492م⁽¹⁵⁾، واستقر الكثير منهم في البلاد المغربية ولا سيما أراضي الدولة الزيانية -كما أسلفنا- بالإضافة إلى اليهود المستقرين سلفا بالبلاد. وأمام هذه الأعداد الهائلة فإنه من الصعب بمكان تحديد أماكن محددة لاستقرار اليهود وخاصة مع اندماج هؤلاء بالسكان المسلمين خاصة في المناطق الداخلية وممارستهم لحياة البداوة والترحال، لكن على العموم فإن المدن الساحلية هي التي ضمت أكبر عدد من اليهود خاصة المهاجرين منهم⁽¹⁶⁾.

فأكثر المدن الزيانية التي استقر بها اليهود: مدينة تلمسان، ووهران⁽¹⁷⁾ والجزائر وبجاية والغزوات ومعسكر وتقرت وواحة توات -التي طُرد يهودها من طرف الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في ما بين 1488 و 1492م- والتي شكلت قوة تجارية

قوافلية مهمة آنذاك، وكذا استقر اليهود بغرداية وتمنطيط والأغواط⁽¹⁸⁾. وأشير
وندرومة والمسيلة وتاهرت ومستغانم ومزغران وهنين وتوجرت وتنس ومليانة
والمدينة⁽¹⁹⁾، كما أبعادوا في التوغل نحو جنوب البلاد⁽²⁰⁾.

أما عن إحصاء بعض العائلات أو الأفراد المشهورين المستقرين في أرجاء الدولة
الزيانية فنذكر على سبيل المثال لا الحصر: ⁽²¹⁾

مدينة الجزائر: إسحاق بارشيشات بارفات وسيمون بن سماح دوران وعائلة
بلخير والأشقر.

وهران: عمار بن مرواس عفراقي.

المدينة: سعدية دارمو.

تلمسان: أبراهام بن حقون وأفرايم أنكاوة وابن الأشقر.

مزغران: الاتزار ماينيش، بولاكس أنبروكس، امدازور اسحاق، بن ماندن
بن هارون.

تنس: فازواقي أبراهام ومايمو، بن هابران، بن برشون.

مستغانم: عائلة حيون وهارون، ومرزوخ، مالقي سليمان.

بجاية: بنيامين عمار موسى كوباي.

وكانت كثير من هذه العائلات من الحاخامات ذات التأثير الكبير بين زملائهم
الذين طردوا من إسبانيا وجزر البليار.

ويروى أن السلطان الزياني أبو زيان بن أبي حمو موسى الثاني استقبل اليهود

وأذن لهم بالتزول في مملكته، فمثلا في مدينة تلمسان أنزلهم بالربط من "أغادير" وبقوا

هناك مدة من الزمن يمارسون شعائرتهم الدينية وأعمالهم اليومية بكل حرية، ثم قُرِهم إلى مكان يعرف بالمرجة⁽²²⁾ قرب قصر المشور فبنوا به حيا خاصا بهم عرف "بالحارة" وكان يضم حوالي خمسمائة دار وكانوا يتمتعون بكثير من أنواع التسامح الديني وقيمون شعائرتهم بكل حرية في أمن ودعة وكانوا كلهم تقريبا أغنياء⁽²³⁾. وكان لهذه الطوائف اليهودية خاصة بتلمسان مقبرتها الخاصة ولها بيعتها ورئيس يدير شؤونها يدعى شيخ اليهود، ويكون همزة وصل بينها وبين السلطات التلمسانية الرسمية والطائفية وكان يسكن حارة اليهود ما يزيد عن ألفين وخمسمائة نسمة جلهم من الأثرياء، وكانوا كالمسلمين يزورون أضرحة الأولياء الصالحين، لكنهم تعرضوا للنهب والمضايقة بعد وفاة السلطان أبي محمد عبد الله (923هـ/1517م)⁽²⁴⁾ ولم يكن لليهود المغرب الأوسط الدور السياسي والاجتماعي الكبير مثل الذي قام به إخوانهم في المغرب الأقصى في عهد بني مرين إلا أنه كانت لهم مساهمة فعالة في الدورة الاقتصادية والحركة التجارية والصناعية، وشملهم عطف ملوك بني زيان ورعايتهم⁽²⁵⁾.

3. المناطق السكنية:

مال اليهود إلى التجمع والعزلة ورفضوا الاختلاط بالمجتمعات التي يسكنون فيها تطبيقا إذ جعلت منهم اليهودية أمة مستقلة بذاتها ودولة داخل الدولة ومجتمعا مغلقا⁽²⁶⁾، لذلك نجدهم قد اختاروا السكن بأحياء خاصة بهم في أنحاء دولة بني زيان، بالإضافة إلى الحماية التي تمتعوا بها من طرف ملوك هذه الدولة⁽²⁷⁾ الذين منحوهم حق السكن في تجمعات تضمهم وحدهم، بالرغم من أنهم لم يمنعوا من

السكن في أحياء تضم المسلمين⁽²⁸⁾، كما كان لهم حق التملك وحرية التصرف في أملاكهم يبيعون ويشتررون الأراضي والفنادق والمنازل لدرجة أنهم جاوروا المساجد في بعض الأحيان⁽²⁹⁾.

وفي تلمسان ومع قدوم طلائع المهاجرين الميغوراشيم استقبلهم الزبانيون فأسكنهم السلطان أبو زيان بن أبي حمو موسى الثاني وأنزلهم بالربط من "أغادير" وبقوا هناك مدة من الزمن يمارسون شعائرهم الدينية وأعمالهم اليومية بكل حرية⁽³⁰⁾. وبقى اليهود على هذه الحال إلى أن تدخل الحبر "إفرايم انكاوة" في نهاية القرن الثامن هجري، الرابع عشر ميلادي⁽³¹⁾ لدى السلطان الزياني أبو العباس الملقب بالعادل بعد أن عالج ابنته من مرض عجز الأطباء عن إيجاد علاج له فسمح لهم بأن ينتقلوا إلى داخل مدينة "تاكرارات" فسكنوا بجوار قصر المشور حيث استقروا في شماله وشرقه⁽³²⁾ على بعد حوالي عشرين مترا منه إذ كان هذا المكان يعرف بالمرجة وهو عبارة عن سبخة⁽³³⁾. وسمي الحي الذي نزلوه بالحارة وكان يضم حوالي خمسمائة دار لليهود يسكنها ما يزيد عن ألفين وخمسمائة نسمة جلهم من الأثرياء⁽³⁴⁾.

وكان الحي يضم مرافق وخاصة البيعة المسماة "El Ghessaline" التي ينتظم حولها السكان اليهود كما هو الحال في كل تجمعاتهم⁽³⁵⁾، إضافة إلى ممارستهم التجارة في الحي التجاري المسمى "القيسارية" المخصص للأوربيين أو اختلاطهم مع المسلمين في أحيائهم وأسواقهم ومزاولتهم الحرف المتنوعة⁽³⁶⁾. وتجدد الإشارة إلى أن الجالية اليهودية في ظل الدولة الزيانية قد تمتعت بحق بناء البيع مثل البيعة المذكورة في مدينة تلمسان أو في مدن أخرى مثل منطقة توات الصحراوية والتي كانت سببا

من أسباب ثورة الإمام المغيلي عليهم وقتله لكثير منهم⁽³⁷⁾ وكذا اتخاذ مقابر خاصة بهم مثل مقبرة اليهود في تلمسان الواقعة بمقبرة قباسة خارج باب القرمادين والمدفون فيها الحبر "أفرايم أنكاوة" والذي لا يزال قبره محط الرحال لليهود الذين يأتون لزيارته سنويا من أنحاء العالم⁽³⁸⁾، وفي مدينة الجزائر حيث يوجد قبرا الحبرين "بارفات ودوران" -السابقين الذكر-

4- العادات والتقاليد:

أ. الطعام :

بالعبرية "كاشروت" من الكلمة العبرية "كاشر" بمعنى مناسب أو ملائم وهي مجموعة القوانين الخاصة بنظام الأكل وطريقة إعداده وطريقة الذبح عند اليهود وهي قوانين مصدرها التوراة ويسمى الطعام الذي يتبع قوانين الكاشروت "كوشر" أي الطعام المباح أكله في الشريعة اليهودية⁽³⁹⁾. أما كمية الطعام فهي تتعلق بمستوى معيشة الفرد، ويتناول اليهود في اليوم الواحد ثلاث وجبات، بينما تخصص وجبات معتبرة لمساء يوم الجمعة والاحتفالات والاجتماعات اليهودية⁽⁴⁰⁾. وبمقتضى قوانين "الكاشروت" فإنه يحرم على اليهودي أكل أنواع معينة من الطعام ويباح له أكل أنواع أخرى، فالمحرمات تتعلق أساسا بلحوم الحيوانات لكن هناك بعض التحريمات الأخرى⁽⁴¹⁾، فيحرم شرب أي خمر أعدها أو لمسها شخص من الأغيار بل يحرم أيضا أكل خبز أو طعام أعده شخص من الأغيار حتى لو أعد حسب قوانين الطعام اليهودي. وهناك تحريم أكل الخبز المخمر في عيد الفصح⁽⁴²⁾.

وهم يحلون من الحيوانات ذوات الأربع، التي لها ظلف مشقوق وليس لها أنياب، وتأكل العشب وتجتز، فالخيل والبغال والحمير تحرم لحومها لأنها ليست ذات أظلاف مشقوقة، وكذلك الجمل لأنه ذو خف لا ظلف، وتحرم الأرانب لأن لها أظفار، ويحرم الخنزير بالرغم من أظلافه المشقوقة لأنه ذو ناب، وتحرم السباع كلها لأنها ذات مخالب وأنياب. وتحرم الطيور غير النظيفة التي تأكل الجيف والرمم مثل الصقر والنسر والبومة والحدأة والبيغاء. (43)

ولا تحل الذبائح إلا بالطريقة الشرعية بعد تلاوة صلاة الذبح (الذبح الشرعي). كما يحرم أيضا أكل أجزاء معينة من الحيوانات، مثل عرق النسا، حيث يجب أن يزال من الحيوانات، كذلك يحرم أكل أجزاء من الحيوان الذي لا يزال حيا واللحم الذي لم يسحب منه الدم من خلال التمليح (غسل اللحم لمدة ثلاثين دقيقة -تصفية ما تبقى من الدم- تغطية اللحم بالملح لمدة ساعة- غسل اللحم مما تبقى من دم وملح). وبسبب الإجراءات المتشددة في عملية الذبح فيما يتعلق بالسكين وشروطه وكيفية الذبح وشروط الحيوان المذبوح حتى يشرع ذبحه فإن هذه المهمة لا يقوم بها إلا ذابح شرعي (شوحيط). (44)

أما الأحياء المائية فيحل منها السمك الذي له زعانف وعليه قشور، وفيما عدا ذلك فكل صيد البحر حرام حيث يمنع اليهودي من أكل الأسماك الملساء وأنواع الأخطبوط والجمبري والسرطان والمحار. (45)

ويتشدد اليهود في وجوب الفصل بين أوعية اللحوم وأوعية الألبان إذ لا يجب الخلط بينهما البتة، ولا استعمال أواني اللحوم للألبان أو العكس. (46)

أما في الأعياد مثل عيد الفصح وعيد المظال وأيام السبت وعيد رأس السنة اليهودية وعيد التدشين وعيد النصيب...، فيتم تناول أطباق وأشربة مختلفة تتنوع حسب عادات اليهود المكتسبة في البلاد التي يقطنونها⁽⁴⁷⁾.

ويفضل اليهود تناول بعض الأطعمة في أيام الأعياد، منها الفطائر المختلطة بالخل والنبيد والتي تدعى "بواريد"، وكذلك "الهريسة" المصنوعة من الدقيق واللحم المقطع، إضافة إلى الفطير المحشو بقطع الدجاج والفطر⁽⁴⁸⁾.

ومن أشهر أطباق يهود المغرب الإسلامي في يوم عيد الميمونة في شهر نيسان ذكرى تحرير بني إسرائيل من الأسر، السمك الطازج المغلف بأوراق خضراء والذي يزين بخمس حبات فول أخضر وخمس بيضات وخمس نقود فضية أو ذهبية ثم يوضع السمك داخل الدقيق وأوراق الزهور وأعشاب خضراء وسنابل من القمح أو الشعير وحليب. كما أنهم يحضرون أنواعا عديدة من الحلويات من أشهرها بغيرير بالعسل (موفليتة)⁽⁴⁹⁾.

وحسب التعاليم التلمودية فإنه يجب على العائلة اليهودية الاجتماع على طاولة الأكل وتلاوة صلاة المائدة وهي مجموعة أدعية تتلى قبل الأكل وينبغي على الشخص الذي يتلوها أن يضع على رأسه قلنسوة أو غطاء أو حتى طرف معطفه⁽⁵⁰⁾.

الصوم: ويدعى بالعبرية "تسوم" وتستخدم كلمة "تعنيت" مرادفا لها⁽⁵¹⁾، إذ يصوم اليهود في السنة أيا ما متفرقة وهذا الصوم مرتبط إما بأفراح أو بأحزان، أو مناسبات خاصة عندهم ويكون صيامهم من العتمة إلى العتمة عن الشراب والطعام

والنساء⁽⁵²⁾. وأيام الصوم المفروضة على اليهود في كتبهم المقدسة هي ثمانية وعشرون يوما وهي:

- الثامن من طيب: ذكرى ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية في عهد بطليموس.
- التاسع من طيب: ذكرى موت عزرا.
- الثامن من شباط: ذكرى وفاة الأتقياء في زمن يشوع.
- الثالث والعشرون من شباط: ذكرى احتشاد بني إسرائيل للحرب ضد سبط بنيامين.
- السابع من آذار: ذكرى المشاحنة التي نشبت بين بيت هليل وبيت شمائي، وقتل فيها ثلاثة آلاف نفس.
- السابع من آذار الثاني: لا يوجد سبب واضح لهذا الصوم.
- الرابع والعشرون من آذار الثاني: ذكرى اليوم الذي نقش فيه الهلينيون اسما لمعبود وثني على حجر تميم، كان منقوشا عليه قبل ذلك اسم الرب.
- الأول من نيسان: ذكرى موت ناداب وأبيهو ابني هارون.
- السادس والعشرين من نيسان: ذكرى وفاة يشوع بن نون.
- العاشر من أيار: ذكرى موت هالي وولديه واستيلاء الفلسطينيين(شعوب البحر)⁽⁵³⁾ على تابوت العهد.
- الثامن والعشرون من أيار: ذكرى وفاة النبي صمويل.
- الثالث والعشرون من سيوان: ذكر اليوم الذي أمر فيه يربعام بن نباط بني إسرائيل بالتوقف عن إحضار القرابين والأضاحي وأبكار نتائجهم إلى أورشليم.

- الخامس والعشرون من سيوان: ذكرى إحراق الربى حننيا بن تراديون.
- الأول من آب: ذكرى وفاة الكاهن الكبير هارون.
- الثامن عشر من آب: عندما أطفأ آحاز النور الغربي.
- السابع من أيلول: عندما قضى وباء الطاعون على الجواسيس الذين عادوا بتقاريرهم عن كنعان.
- الخامس من تشري: ذكرى وفاة عشرين من بني إسرائيل وذكرى إعدام عقيبا.
- السادس عشر من تشري: عندما قضى بموت الذين عبدوا العجل من بني إسرائيل.
- السادس من حشوان: عندما فقد الملك صدقيا بصره على يد نبوخذنصر بعد ذبحه لأولاده أمامه.
- السابع من كيسلو: عندما أحرق يهودي قسيم الوثيقة التي كتبها باروخ وأملأها عليه أرميا. (54)
- وقد قرر الحاخامات صيام أيام أخرى منها الإثنين والخميس وهي الأيام التي تقرأ فيها التوراة في المعبد، وصيام أيام التكفير العشرة (بين عيد رأس السنة وعيد الغفران)...
- بالإضافة إلى أيام خاصة كصيام اليهودي ذكرى يوم وفاة أبويه أو أستاذه وصيام العريس والعروس يوم زفافهما... (55)

ب. النظافة والطهارة:

يعود اهتمام الشريعة اليهودية الحاد بمشاكل الطهارة والنجاسة إلى محاولة اليهود دوما الفصل بينهم، هم المقدسون وبين الأغيار المدنسين، وتنص الشريعة اليهودية على عدة مصادر أساسية للنجاسة الشعائرية أهمها أجساد الموتى.⁽⁵⁶⁾

والطهارة عندهم نوعان: طهارة الموضع الذي يصلون فيه من النجاسات ويكون خاليا من الصور والتمائيل، وطهارة الجسم: وهي نوعان، طهارة كبرى، إذ يغطس الرجل أو المرأة في الماء ثلاث مرات وذلك إن لمس اليهودي أو اليهودية جثة ميت، أو لمس حشرات، أو خنازير، أو الجنابة، وبعد الحيض والنفاس بالنسبة للمرأة⁽⁵⁷⁾. ويضيف موسى بن ميمون إلى قائمة مسببات الغسل تغسيل الميت أو لمس مرضى الجذام وأنه يحرم على اليهودي الدخول إلى الكنيس من غير طهارة⁽⁵⁸⁾، وطهارة صغرى يوميا وهي تشبه الوضوء الإسلامي، وتكون قبل تأدية فرائض معينة، وبعد أي شيء يسبب النجاسة، إذ يجب استعمال الماء الطاهر-لا يجوز استعمال ماء البحر- فيبدأ بغسل اليدين ثلاث مرات قبل إدخالهما في الإناء، ثم يغسل كامل الوجه، ثم يتمضمض ثم يمسح وجهه بمنديل، ثم يتبع الغسل بسلسلة من الدعاء حمدا لله الذي أعطاه الماء طهورا⁽⁵⁹⁾.

وتنص الشريعة على ضرورة أن يغسل اليهودي يديه قبل الأكل أو الصلاة، وبعد الاستيقاظ من النوم، وبعد زيارة المدافن أو دخول دورة المياه.⁽⁶⁰⁾

ج. اللباس:

من المعروف في شريعتنا الإسلامية إلزام اليهود بلبس معين وعدم التشبه بالمسلمين، فقد أورد ابن قيم الجوزية في كتابه أحكام أهل الذمة تفسيراً لحديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله لا يشرك به، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم» رواه الإمام أحمد في مسنده⁽⁶¹⁾، قوله: فأهل الذمة أعظم خلافاً لأمره وأعصاهم لقوله، فهم أهل أن يذلوا بالتغيير عن زي المسلمين الذين أعزهم الله بطاعته وطاعة رسوله من الذين عصوا الله ورسوله فأذلهم وصغرهم وحقرهم حتى تكون سمة الهوان عليهم فيعرفوا بزيهم.⁽⁶²⁾

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى عماله في الأمصار الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة عن لباس أهل الذمة "ألا يلبسوا لبسة المسلمين حتى يعرفوا".⁽⁶³⁾

وسار على نهجه بعده الخلفاء والأمراء إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي ألزمهم بلبس ملابس حقيرة تصنفهم عن المسلمين وكذا الخليفة العباسي المتوكل الذي أمر في سنة 235هـ أهل الذمة بلبس الطيالة العسلية، وشد الزنانير، وعمل رقعتين على لباس ممالكهم مخالفتين لون الثوب كل واحد منهما قدر أربع أصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الأخرى، وأما نساؤهم فتلبس إزارا عسليا ومنعهم من لباس المناطق.⁽⁶⁴⁾

ويبدو أن الفقهاء رغبوا في إلزام اليهود بهذا الزي ليعرفوا بين المسلمين ولوضع حدٍّ لتجاوزاتهم وتطاولهم على الإسلام والمسلمين. ومن بين الفتاوى التي ألزمتهم

لباس معين وعدم التشبه بلباس كبار المسلمين وأخيارهم فتوى "ابن عبدون التجيبي" في القرن السادس هجري: "يجب أن لا يُترك أحدٌ من المتقبلين، ولا من الشُّرَط، ولا من اليهود، ولا من النصارى، بزيِّ كبار الناس، ولا بزيِّ فقيه، ولا بزيِّ رجلٍ خيرٍ ... يجب أن تكون لهم علامة يُعرفون بها على سبيل الخزي لهم" (65).

إلا أن هذا لم يعمل به في كل عصور الدول الإسلامية إذ روي أن بعض اليهود كان يتمتع بحرية اللبس حتى أن لباسه كان يفوق لباس المسلمين بل يتشبه بأعيانهم وأمرائهم (66).

وفي عهد الدولة الزيانية استمر أهل الذمة في لبس ثياب صفراء اللون بأكمام واسعة طويلة، وتقلدوا قلانس تشبه البرادع تصل إلى تحت آذانهم وهو اللباس الذي فرضه الموحدون عليهم في عهد أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن إلا أن لوئها كان أسودا فغيره ابنه أبي عبد الله إلى اللون الأصفر بطلب منهم (67)، ويورد الحسن الوزان أنه رآهم في تلمسان حاضرة الزيانيين يضعون على رؤوسهم عمامات صفراء (68).

كما كان يحظر عليهم لبس الأثواب ذات اللون الأخضر لأنه اللون المميز للمسلمين (69)، وكذا الالتزام بعدم التعمم (لبس العمامة) لأنه من مميزات أشراف المسلمين (70).

أما عن النعل فإنه كان لا يختلف كثيرا عن نعل المسلمين فيلبسون البلغة وهي نعل أصفر اللون وهو لباس أهل الريف وبعض أهل المدن (71). إلا أن بعض اليهود

يذكرون أنهم قد أجبروا في هذا العهد من طرف المسلمين على المشي حفاة عند خروجهم من الأحياء الخاصة بهم⁽⁷²⁾.

أما في الصلاة فقد فرض اليهود على أنفسهم ارتداء "الطاليت" وهي كلمة عبرية تعني شال الصلاة، وهو شال يرتديه اليهود أثناء صلاة الصبح وفي كل الصلوات الإضافية وفي عيد الغفران وخاصة صلاة النذور إلا في التاسع من آب حيث لا يرتدونه إلا في صلاة الظهرية منه⁽⁷³⁾. وهم يلتزمون بأمر الله لهم في التوراة كما يقولون: "وقد أمرتنا بأن نلبس الطاليت". وهذا الشال يكون من الحرير الأبيض أو الصوف وفي زواياه حلية وزينة وخاصة عند طاليت الكهنة الموشى بالذهب ويلبس هذا الشال كذلك العريس في ليلة زواجه كما ويكفن بهم مَيِّتهم⁽⁷⁴⁾.

كما ألزمت المرأة اليهودية بوجوب تغطية رأسها عند الخروج، فإذا خالفت ذلك فهي معرضة للطلاق إذا كانت متزوجة أو عدم الزواج إذا كانت عزباء⁽⁷⁵⁾. أما رجل الدين فإن لباسه كان خاصا إذ يلبس جلبابا أسودا ومعطفا ذا غطاء للرأس ضخما (Copate) أو برنسا تفتح أكمامه عند الكوع حتى المعصم، وصدريّة طرز بأربعين زرا وسروالا من قماش خفيف أو من الصوف الرمادي أو الأسود، وكذا عمامة سوداء فخمة⁽⁷⁶⁾.

خاتمة:

بعد هذه النظرة حول التواجد اليهودي في العهد الزباني نرى أن اليهود حاولوا الانسجام مع المجتمع مع محافظتهم على عاداتهم وتقاليدهم التي توارثوها منذ القديم، وقد انقسموا في ذلك العهد إلى أهالي ومهاجرين اندمجوا مع مرور الأيام مع بعضهم

البعض، فشكلوا كتلة واحدة، هذا مع انتشارهم على كامل المدن الجزائرية خاصة الساحلية منها، نظرا لما كانت تدره عليهم من عائدات مالية، ووجود البعض منهم الذين فضلوا المدن الداخلية لأسباب مختلفة، وقد حافظ اليهود على انتظامهم في تجمعات سكنية موحدة تسهل عليهم القيام بطقوسهم الدينية بصفة منتظمة وتجنب الاحتكاك مع المسلمين، هذا وقد كانت لليهود عادات خاصة بالطعام واللباس غير أنهم تأثروا بالعادات الغذائية ولباس المجتمع الذي ساكنوه لمدة قرون.

الهوامش

1- Garrot Henri, *Les Juifs Algériens-Leurs origines*-, Librairie Louis Relin, Alger, 1898, p36.

2- Eisenbeth Maurice, *Les juifs en Algérie, esquisse historique depuis les origines jusqu'à nos jours*, Extrait de *L'encyclopédie Coloniale et Maritime*, Paris, sd, PP 8-9.

3- Dhina Atallah, *Le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1^{er} et d'Abou Tachfin 1^{er}*, OPU, Alger, sd, P 55.

4- Ibidem.

5- عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، د.ط، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج1، ص193.

6- Dhina.A, *op.cit*, P55.

7- Garrot. H, *op.cit*, P36.

8- Eisenbeth, *op.cit*, PP 8-9.

9- برنشفيك روبر، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة حمادي

الساحلي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ج1، ص434.

10- Dhina.A, *op.cit*, P55.

11- برنشفيك، المرجع السابق، ص ص433، 434.

12- Dhina. A, *op.cit*, P55. 434. مرجع سابق، ص

13- Jean Laloum et Jean-Luc Allouche, *Les Juifs d'Algérie –images et textes-S.D*, Edition du Scribe, France, P 12.

14- Garrot. H, *op.cit*, P36.

15- Zafrani. Haïm, *Juifs d'Andalousie et du Maghreb*, Maisonneuve et Larousse, Paris, 1996, P214.

16- برنشفيك، مرجع سابق، ص431.

17- Alfred Bel, *Tlemcen et ses environs: guide illustré du touriste, Toulouse, sd, PP 134-135.*

18- فوزي سعد الله، يهود الجزائر - هؤلاء المجهولون، الطبعة الثانية، دار قرطبة، الجزائر، 1426هـ / 2005م، ص 102.

19- Garrot.H, *op.cit*, P36؛ 432، مرجع سابق، ص

20- Dufourcq.Ch.E, *Les relations de la péninsule Ibérique et l'Afrique du nord au XIV^e siècle, anuario de estudios medievales, instituto de historia mediaval de Espana, Barcelona, 1970-1971, P60.*

21- انظر عن أسماء العائلات والأفراد Eisenbeth Maurice, *Les juifs de l'Afrique du Nord - démographie et onomastique, Imprimerie du Lycee Alger, 1936, P77-189; Dhina.A, op.cit, P 246-250; Garrot.H, op.cit, P36; Dufourcq.Ch.E, L'Espagne catalane et le Maghreb au XIII^e et XIV^e S, Paris, 1966, P325.*

22- شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ج2، ص41.

23- الوزان، حسن، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج2، ص 20.

24- Marçais George, *Tlemcen, les villes d'arts célèbre, Paris, Librairie Renouard, 1950, P 36.*

25- دهينة عطاء الله، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3، ص490.

26- Isidore Loeb, *réflexions sur les Juifs, revue des études juives, La librairie A.Durlacher, Paris, T28, 1894, P163.*

27- Dhina, *le royaume Abdelouadide. op.cit, P56*

28- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ج8، ص437.

29- المصدر نفسه، ج7، ص52.

30- عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران، 2011م، ص200.

31- Dhina.A, le royaume Abdelouadide, op.cit, P57.

32- الوزان، مصدر سابق، ج2، ص20، Bel.A, op.cit, P134.

33-Raoul Darmon, origine et constitution de la communauté Israélite de Tlemcen, Revue Africaine, OPU, Alger, V14, N°79, 1870, P379.

34- الوزان، المصدر السابق، ج2، ص20. مارمول كاربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرين، دار نشر المعرفة، الرباط، 1408-1409هـ/1988-1989م، ج2، ص298. وتسمى هذه الحارة "درب اليهود" (انظر ابن مريم أبو عبد الله محمد بن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م، ص269). ولا تزال هذه التسمية إلى وقتنا الحاضر.

35- Darmon, op, cit, P378.

36-Bouziane-Oufriha Fatima-Zohra, Tlemcen capitale musulmane le siecle d'or du Maghreb central, Essai, Editions Dalimen, dans le cadre de "Tlemcen capitale de la culture islamique 2011", 2011, P325.

37- المغيلي، محمد بن عبد الكريم، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق عبد المجيد الخيالي ضمن كتاب رسالتان في أهل الذمة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م، ص47.

38- شاوش، باقة السوسان، مرجع سابق، ج2، ص41.

39- غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط1، دار الجليل للنشر، عمان، 1994م، ص67.

40- Israël Abrahams, Jewish life in the middle ages, The Macmillan Company, New York, 1896, P150.

41- المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الطبعة الثالثة، دار الشروق، القاهرة، 2006م، المجلد الثاني، الجزء الأول، ص49.

42- المرجع نفسه، ص49.

43- غازي السعدي، مرجع سابق، ص64-65.

44- المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص49، 50.

45- غازي السعدي، مرجع سابق، ص65.

46- Abrahams, op, cit, P 146.

- 47- انظر عن هذه الأطباق المتنوعة، المسيري، الموسوعة، م1، ج2، ص: 299-301.
- 48- Ashtor Eliyahu, *The Jews of Moslem Spain*, Philadelphia, 1979, vol.3, p.158;
- 49- Chouraqui, *Marche vers l'accident, les juifs Afrique du nord*, Paris, PUF, 1952, p217
- انظر بوعمامة، يهود المغرب الإسلامي، ص147.
- 50- Abrahams, *op. cit*, P279
- 51- المسيري، الموسوعة، ج2، م1، ص52.
- 52- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى، دار الغد الجديد، القاهرة، 1427هـ/2007م، الجزء الأول، ص199.
- 53- المسيري، الموسوعة، م1، ج2، ص394.
- 54- محمد الهواري، الصوم في اليهودية، ط1، دار هاني للطباعة والنشر، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص53-55، عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، العبادات في الأديان السماوية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2001م، ص106.
- 55- المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص52.
- 56- المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص55.
- 57- بوعمامة، اليهود، ص102، انظر عبد الرزاق الموحى، العبادات في الأديان السماوية، ص77.
- 58- موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، تحقيق حسن آتاي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، دت، ص681-683.
- 59- بوعمامة، اليهود، ص102، انظر كذلك الموحى، العبادات، ص81.
- 60- المسيري، الموسوعة، م2، ج1، ص68.
- 61- حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده تحت رقم (50/2 و92)
- 62- ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف البكري وشاكر العاروري، الطبعة الأولى، رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1997م المجلد الأول، ص1264.
- 63- نفسه، ص1262.

- 64- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، مراجعة وتدقيق محمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، المجلد السادس، ص 106.
- 65- محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق فاطمة الإدريسي، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1430م، 2009م، ص 113-114.
- 66- مثال ذلك بن عطاء اليهودي في الدولة الزيرية والحكيم بن قنبل في أواخر الدولة المرينية، انظر الونشريسي، المعيار، ج2، ص 254.
- 67- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية المتحدة، 1963م، الكتاب الثالث، ص 383. فيلاي، مرجع سابق، ج1، ص 270.
- 68- الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 20.
- 69- *Abrahams.I, op, cit, p 285.*
- 70- *Ibidem: p 283.*
- 71- عطا أبورية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ط1، إيتراك للنشر والتوزيع، مصر، 2005م، ص 217.
- 72- *Abrahams, op. cit, P289.*
- 73- غازي السعدي، المرجع السابق، ص 64.
- 74- المسيري، موسوعة اليهود، م2، ج1 ص 69. غازي السعدي، المرجع السابق، ص 64.
- 75- *Abrahams, op. cit, P 281.*
- 76- *Chouraqui, Les Juifs de l'Afrique du nord, P65*
- انظر كذلك، عطا أبورية، مرجع سابق، ص 215.